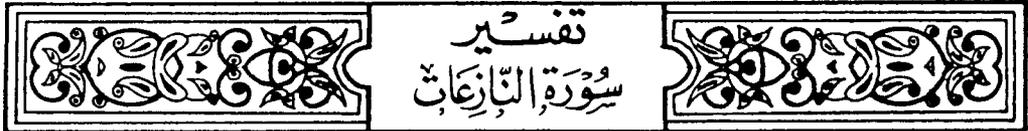


بإذنه كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ والمراد بالروح هنا أرواح بني آدم، أو هم بنو آدم، أو أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم، وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون، أو هو جبريل، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٧٣] ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 193]، [194]، أو الروح هو القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52] أو أنه ملك من الملائكة يقدر جميع المخلوقات ﴿إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: 105] وكما ثبت في الصحيح «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل» ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي حقاً، ومن الحق «لا إله إلا الله» ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي الكائن لا محالة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي مرجعاً، وطريقاً يهتدي إليه، ومنهجاً يمر به عليه وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني يوم القيامة، لتأكيد وقوعه صار قريباً، لأن كل ما هو آت آت ﴿يَوْمَ يُنظَرُ الْأَمْزَةُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي يعرض عليه جميع أعماله خيراً وشرها قديمها وحديثها، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49] وكقوله تعالى: ﴿يُنْفِئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَانُ مَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [١٣] ﴿الْقِيَامَةَ: 13﴾ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة، السفارة الكرام البررة، وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجوز حتى إنه ليقتنص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها، قال لها كوني تراباً، فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي كنت حيواناً فأرجع إلى التراب.



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾ ١ ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ ٢ ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾ ٣ ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبْعًا﴾ ٤ ﴿فَالْمُدْرِبَاتِ أَمْرًا﴾ ٥ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٦ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ ٧ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ ٨ ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ ٩ ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ ١٠ ﴿أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةٌ﴾ ١١ ﴿قَالُوا ذَلِكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ١٢ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ١٣ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ١٤

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾ ١ الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر، فتفرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلت من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ ٢،

﴿وَالسَّيْحَتِ سَبَبًا﴾ الملائكة، أو النجوم، أو السفن ﴿فَالسَّيْقَتِ سَبَقًا﴾ هي الملائكة سبقت إلى الإيمان والتصديق، أو هي النجوم، أو هي الخيل في سبيل الله ﴿فَالْمَدْرَبَاتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربه ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ تتبعها الرادفة ﴿ي﴾ هما النفختان: الأولى والثانية، روى ابن أبي حاتم كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه» ﴿فَلَوْبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ أي أبصار أصحابها، وإنما أضيفت إليها للملابسة، أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرِ﴾ يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد، يستعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة، وهي القبور ﴿أَوَّادًا كُنَّا عِظَمًا نَجْرَةً﴾ أي بالية ﴿يَلَاكُ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ قالت قريش: لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن. ﴿فَأَمَّا هِيَ زَجْرًا وَجِدَةً﴾ فإنما هو أمر من الله، لا مثوية فيه، ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَّجٌ بِالْبَصْرِ﴾ [القم: 50] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ الساهرة الأرض كلها.

﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى ﷺ أنه ابتعثه إلى فرعون، وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به، ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ أي هل سمعت بخبره؟ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ أي كلمه نداء ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي المطهر ﴿طُوًى﴾ وهو اسم الوادي على الصحيح.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَأَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ آيَةَ الْكُتُبِ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي تجبر وتمرد وعتا ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَأَ﴾ أي قل له: هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به، أي تسلم وتطيع ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي أدلك على عبادة ربك ﴿فَتَخْشَى﴾ فيصير قلبك خاضعاً له، مطيعاً خاشعاً بعدما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير ﴿فَأَرَاهُ آيَةَ الْكُتُبِ﴾ فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية، ودليلاً واضحاً على صدق ما جاءه به من عند الله ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ أي فكذب بالحق، وخالف ما أمره به من الطاعة، وحاصله أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب، والإيمان عمله، وهو الانقياد للحق، والخضوع له. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ

يَتَّبِعُ ﴿٢٢﴾ أي في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى ﷺ من المعجزات الباهرات ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ﴿٢٣﴾ أي في قومه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾ وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: 38] بأربعين سنة، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ﴿٢٥﴾ أي انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ ﴿٢٦﴾ أي لمن يتعظ وينتجزر.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَتَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مِّنَّا لَكَرٌ وَلِأَنْتُمْ كُرٌ ﴿٣٣﴾

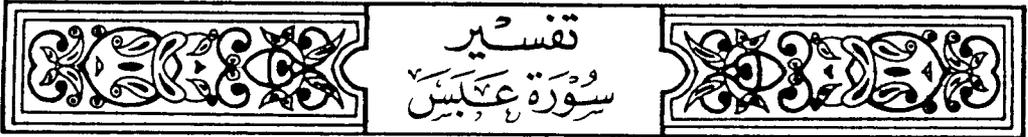
يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بعثه ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ يعني بل السماء أشد خلقاً منكم ﴿بَنَاهَا﴾ فسره بقوله: ﴿رَفَعَ سَتَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ ﴿٢٨﴾ أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء. وقوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ﴿٢٩﴾ أي جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً، ونهارها مضيئاً مشرقاً نيراً واضحاً ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أي أثار نهارها. وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣٠﴾ فسره بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ﴿٣١﴾ فقد خلق الله الأرض قبل خلق السماء، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل. وعن ابن عباس ﴿دَحَاهَا﴾ ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسيول والآكام. ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ﴿٣٢﴾ أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرؤوف بخلقه، الرحيم ﴿مِّنَّا لَكَرٌ وَلِأَنْتُمْ كُرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ أي دحا الأرض، فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها لتستقر بأهلها، ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً لخلقه، ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الديار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَوُزِّيَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَفَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ ﴿٣٤﴾ وهو يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مقطع كما قال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾ [الفرق: 46] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ﴿٣٥﴾ أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى﴾ [الفجر: 23] ﴿وَوُزِّيَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ ﴿٣٦﴾ أي أظهرت للناظرين فرأها الناس عياناً ﴿فَأَمَّا مَن طَفَى﴾ ﴿٣٧﴾ أي تمرد وعتا ﴿وَأَثَرَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٣٨﴾ أي قدمها على أمر دينه وأخراه ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٣٩﴾ أي فإن مصيره إلى الجحيم، وإن مطعمه من الرزوم ومشربه من الحميم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾﴾  
 ﴿إِنَّا نُرْسِلُهَا ۗ ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۗ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ۗ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخَشَهَا ۗ ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ  
 رُبُّونَهَا لَوْ يَلْبَسُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ۗ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾﴾ أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردها إلى طاعة مولاهما ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾﴾ أي منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء. ثم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۗ ﴿٤٢﴾﴾ ليس علمها إليك، ولا إلى أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلى الله عز وجل، فهو الذي يعلم وقتها على التبيين ﴿تَنَزَّلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: 187] وقال ههنا: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ۗ ﴿٤٤﴾﴾ ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخَشَهَا ۗ ﴿٤٥﴾﴾ أي إنما بعثتك لتنذر الناس، وتحذره من بأس الله وعذابه، فمن خشى الله، وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رُبُّونَهَا لَوْ يَلْبَسُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ۗ ﴿٤٦﴾﴾ أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كُنْهَا عِنْدَهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ أَوْ ضُحًى مِنْ يَوْمٍ.



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۗ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۗ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّمُ بِرَبِّكَ ۗ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۗ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ  
 سَتَعَفَىٰ ۗ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّقْ ۗ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بِرَبِّكَ ۗ ﴿٧﴾﴾

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه، ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء، ويلح عليه، وودّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم، وأعرض عنه، وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۗ ﴿١﴾﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۗ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّمُ بِرَبِّكَ ۗ ﴿٣﴾ أي يحصل له زكاة وطهارة نفس ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۗ ﴿٤﴾﴾ أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم ﴿أَمَّا مَنْ